الدرس التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

يقول رحمه الله تعالىٰ :

الفصل الثَّاني:

في ذكر الأمور الَّتي يُستمد منها الإيمان

وَهَذَا فَصْلٌ عَظِيمُ النَّفْعِ وَالْحَاجَةِ، بَلِ الضَّرُورَةُ مَاسَّةٌ إِلَىٰ مَعْرِفَتِهِ، وَالْعِنَايَةِ بِهِ مَعْرِفَةً (علماً) وَاتِّصَافًا.
وَذَلِكَ أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ كَمَالُ الْعَبْدِ، وَبِهِ تَرْتَفِعُ دَرَجَاتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهُوَ السَّبَبُ وَالطَّرِيقُ لِكُلِّ خَيْرٍ عَاجِلٍ وَآجِلٍ، وَلَا يَحْصُلُ، وَلَا يَقْوَىٰ، وَلَا يَتِمُّ؛ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ مَا مِنْهُ يُسْتَمَدُّ، وَإِلَىٰ يَنْبُوعِهِ وَأَسْبَابِهِ وَطُرُقِهِ.
وَاللهُ تَعَالَىٰ قَدْ جَعَلَ لِكُلِّ مَطْلُوبٍ سَبَبًا وَطَرِيقًا يُوصِلُ إِلَيْهِ، وَالْإِيمَانُ أَعْظَمُ الْمَطَالِبِ وَأَهَمُّهَا وَأَعَمُّهَا، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُ مَوَادَّ كَثِيرَةً تَجْلِبُهُ وَتُقَوِّيهِ، كَمَا كَانَ لَهُ أَسْبَابٌ تُضْعِفُهُ وَتُوَهِّيهِ.
وَمَوَادُّهُ الَّتِي تَجْلِبُهُ وَتُقَوِّيهِ: أَمْرَانِ؛ مُجْمَلٌ، وَمُفَصَّلٌ.

الشرح:

فهذا الفصل فصلٌ عظيمٌ جداً وهو كما وصفه رحمه الله تعالىٰ : (**وَهَذَا فَصْلٌ عَظِيمُ النَّفْعِ وَالْحَاجَةِ، بَلِ الضَّرُورَةُ مَاسَّةٌ إِلَىٰ مَعْرِفَتِهِ، وَالْعِنَايَةِ بِهِ مَعْرِفَةً (علماً) وَاتِّصَافًا.**) ولاشك أن معرفة المسلم بالأمور التي يستمد منها الإيمان وإتصافه بها أمرٌ تمس حاجة بل ضروة كل مسلم إليه لاسيما مع كثرة الصوارف والشواغل والملهيات التي تصرف المرء عن الإيمان وحقائقه بل تعصف به عن جادة الحق والهدىٰ ، فما أحوج المرء أن يتعرف علىٰ الأمور التي يستمد منها الإيمان والتي تزيده وتقويه ليزداد إيماناً ، وليقوىٰ إيمانه وليسلم من المعارضات من الشبهات والشهوات ، فالحاجة إلىٰ ذلك ماسة والضرورة إليه ملحة ، يقول رحمه الله في بيان حاجة المرء إلىٰ هذه المعرفة بالأمور التي يستمد منها الإيمان والإتصاف بها يقول (**وَذَلِكَ أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ كَمَالُ الْعَبْدِ، وَبِهِ تَرْتَفِعُ دَرَجَاتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**) حياة العبد في هذه الحياة الدنيا الحقيقية بالإيمان ، أما بدون الإيمان فحياةُ المرءِ حياةً بهيمية ، الحياة الحقيقية إنما هي بالإيمان كما قال الله جل وعلا : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ وقال جل وعلا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ فالحياة الحقيقية

إنما هي بالإيمان ، وكمال المرء ورفعته عند الله سبحانه وتعالىٰ إنما يكون بالإيمان ، إضافةً إلىٰ أن الإيمان هو السبب والطريق إلىٰ كل خير في الدنيا والآخرة ، وسيأتي عند الشيخ رحمه الله تعالىٰ فصلٌ عظيم النفع في ذكر فوائد الإيمان وثمراته ، وتلك الفوائد حظ العبد منها بحسب حظه من الإيمان ؛ بمعنىٰ أنه كلما ازداد إيمانًا ازداد حظًا ونصيبًا من فوائد الإيمان ، وكلما ضعف إيمانه ضعف حظه ونصيبه من فوائد الإيمان وثمراته الدينية والدنيوية ، قال رحمه الله (**وَاللهُ تَعَالَىٰ قَدْ جَعَلَ لِكُلِّ مَطْلُوبٍ سَبَبًا وَطَرِيقًا يُوصِلُ إِلَيْهِ**) جميع المطالب لا يتوصل إليها إلا من خلال الطرق والأسباب المفضية إليها ،وهكذا الشأن في أعظم المطالب وأجلها الإيمان ؛ لابد من بذل الأسباب وسلوك الطرق والوسائل التي تقوي الإيمان وكذلك البعد عن الأسباب والوسائل التي تضعف الإيمان ، ثم بيّن رحمه الله تعالىٰ أن الأمور التي تجلب الإيمان وتقويه وتزيده ترجع إلىٰ نوعين ؛ أمور مجملة وأمور مفصلة ، أولاً ذكرها إجمالاً ثم ذكرها رحمه الله تعالىٰ علىٰ وجه التفصيل .

قال رحمه الله تعالىٰ :

وَمَوَادُّهُ الَّتِي تَجْلِبُهُ وَتُقَوِّيهِ: أَمْرَانِ؛ مُجْمَلٌ، وَمُفَصَّلٌ.

أَمَّا الْمُجْمَلُ: فَهُوَ: التَّدَبُّرُ لِآيَاتِ اللهِ الْمَتْلُوَّةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالتَّأَمُّلُ لِآيَاتِهِ الْكَوْنِيَّةِ عَلَىٰ اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا، وَالْحِرْصُ عَلَىٰ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ الَّذِي خُلِقَ لَهُ الْعَبْدُ، وَالْعَمَلُ بِالْحَقِّ، فَجَمِيعُ الْأَسْبَابِ مَرْجِعُهَا إِلَىٰ هَذَا الْأَصْلِ الْعَظِيمِ.

الشرح :

هذا إجمالاً فيما تكون به زيادة الإيمان ؛ أن يعتني بكتاب الله جل وعلا وسنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ، قراءةً وفهمًا وعقلاً للمعاني والدلالات وعملاً بكتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه ، كذلك التأمل في آيات الله الكونية علىٰ اختلافها فإن هذه الآيات الباهرة شواهد علىٰ كمال خالقها وعظمة مبدعها سبحانه وتعالىٰ ، فالتأمل فيها يزيد المرء إيمانًا قال الله تعالىٰ : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾

كذلك إجمالاً مما يزيد الإيمان الحرص علىٰ معرفة الحق الذي خلق العبد لأجله وأوجد لتحقيقه والعمل بالحق ، قال (**فَجَمِيعُ الْأَسْبَابِ مَرْجِعُهَا إِلَىٰ هَذَا الْأَصْلِ الْعَظِيمِ**)

قال رحمه الله تعالىٰ :

وَأَمَّا التَّفْصِيلُ: فَالْإِيمَانُ يَحْصُلُ وَيَتَقَوَّىٰ بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ:

- مِنْهَا -بَلْ أَعْظَمُهَا-: مَعْرِفَةُ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالْحِرْصُ عَلَىٰ فَهْمِ مَعَانِيهَا، وَالتَّعَبُّدُ للهِ (فِيهَا.

فَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْهُ صلىٰ الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا -مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا- مَنْ

أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ». أَيْ: مَنْ حَفِظَهَا، وَفَهِمَ مَعَانِيهَا، وَاعْتَقَدَهَا، وَتَعَبَّدَ للهِ بِهَا؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَالْجَنَّةُ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ.

فَعُلِمَ أَنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ يَنْبُوعٍ ومَادَّةٍ لِحُصُولِ الْإِيمَانِ وَقُوَّتِهِ وَثَبَاتِهِ، وَمَعْرِفَةُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ هِيَ أَصْلُ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ يَرْجِعُ إِلَيْهَا.

وَمَعْرِفَتُهَا تَتَضَمَّنُ أَنْوَاعَ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثَةِ: تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ، وَتَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

وَهَذِهِ الْأَنْوَاعُ هِيَ رُوحُ الْإِيمَانِ وَرَوْحُهُ، وَأَصْلُهُ وَغَايَتُهُ، فَكُلَّمَا ازْدَادَ الْعَبْدُ مَعْرِفَةً بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ؛ ازْدَادَ إِيمَانُهُ، وَقَوِيَ يَقِينُهُ.

فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَن يَبْذُلَ مَقْدُورَهُ وَمُسْتَطَاعَهُ فِي مَعْرِفَةِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَتَكُونَ مَعْرِفَتُهُ سَالِمَةً مِنْ دَاءِ التَّعْطِيلِ، وَمِنْ دَاءِ التَّمْثِيلِ، اللَّذَيْنِ ابْتُلِيَ بِهِمَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ الْمُخَالِفَةِ لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، بَلْ تَكُونُ الْمَعْرِفَةُ مُتَلَقَّاةً مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمَا رُوِيَ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

فَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ النَّافِعَةُ الَّتِي لَا يَزَالُ صَاحِبُهَا فِي زِيَادَةٍ فِي إِيمَانِهِ وَقُوَّةِ يَقِينِهِ، وَطُمَأْنِينَةٍ فِي أَحْوَالِهِ.

الشرح:

هذا هو السبب الأول من الأسباب التي تزيد الإيمان وتقويه ، وهو معرفة أسماء الله الحسنىٰ الواردة في كتابه جل وعلا وسنة نبيه صلىٰ الله عليه وسلم ، والكتاب والسنة عليهما المعوَّل في معرفة أسماء الله وصفاته ، فباب الأسماء والصفات بابٌ توقيفي يتوقف فيه علىٰ ما جاء في كتاب الله وسنة النبي صلوات الله وسلامه عليه ، قال الإمام أحمد رحمه الله : نصف الله بما وصف به نفسه وبما وصف به رسوله صلىٰ الله عليه وسلم لا نتجاوز القرآن والحديث .

والعناية بهذه الأسماء الحسنىٰ العظيمة الواردة في الكتاب والسنة حفظاً وفهماً وتحقيقاً للعبودية التي تقتضيها من أعظم الأمور التي يزيد بها الإيمان ، وأورد رحمه الله شاهداً لذلك حديث النبي صلىٰ الله عليه وسلم الذي قال فيه : **«إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا -مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا- مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ».**

والجنة لا دخول لها إلا بالإيمان كما قال عليه الصلاة والسلام لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مؤمنة ، فالجنة دخولها بالإيمان ، والنبي صلىٰ الله عليه وسلم عدّ في هذا الحديث إحصاء أسماء الله الحسنىٰ سبيلاً مفضياً لصاحبه إلىٰ الجنة **«مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»** ثم نبه رحمه الله أن إحصاء أسماء الله تبارك وتعالىٰ ليس بمجرد العدّ ولا أيضاً بإتخاذها ورداً ، لأن بعض الناس ربما جعلها له ورداً في الصباح والمساء وهذا لم يرد ، ليس بمجرد عدّها ، وإنما إحصاؤها الذي يترتب عليه هذا الثواب العظيم يقوم علىٰ أمورٍ ثلاثة ، إحصاؤها الذي يترتب عليه هذا الثواب العظيم يقوم علىٰ أمورٍ ثلاثة :

الأول : حفظها ، حفظ هذه الأسماء ومعرفتها اسماً اسماً في ضوء ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه عليه صلوات الله وسلامه .

الأمر الثاني : فهم المعاني ، فهم معاني هذه الأسماء ، ونبه الشيخ رحمه الله فيما يتعلق بفهم المعاني علىٰ أمرٍ مهم ، ألا وهو أن يكون هذا الفهم وهذه المعرفة سالمة من داء التعطيل وداء التمثيل ، وهذان داءان خطيران

وقع فيهما خلقٌ كثيرٌ من الناس ، وكثيرٌ من الفرق التي ضلت سواء السبيل ، وداء التعطيل الذي هو النفي سواءً كان تعطيلاً كليـًا أو تعطيلاً جزئيـًا ، تعطيل لجميع الأسماء والصفات أو تعطيل لبعضها ، لا يجوز أن يعطّل حتىٰ الاسم الواحد أو الصفة الواحدة ، والواجب إثباتها كلها لله علىٰ الوجه اللائق بكماله وجلاله وعظمته سبحانه وتعالىٰ ، وأيضـًا الحذر من داء التمثيل ، والله جل وعلا يقول : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ ويقول جل وعلا ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ أي لا سمي له .

فتثبت الأسماء لله وتفهم معانيها فهمـًا صحيحـًا علىٰ الطريقة التي كان عليها الصحابة ومن اتبعهم بإحسان من إمرارٍ لنصوص الصفات كما جاءت وإيمانٍ بها كما وردت بلا تحريف ولا تعطيل وبلا تكييف ولا تمثيل ، أما من وقع في هذه الطرائق المنحرفة من تحريف أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل فإن هذا الإنحراف يبعده عن الإيمان ، بل لا يكون الإيمان ولا ينبني إلا علىٰ هذه المعرفة الصحيحة بأسماء الله سبحانه وتعالىٰ وصفاته العظيمة .

والأمر الثالث : أن يحقق العبودية التي يقتضيها كل اسم من أسماء الله وكل صفة من صفاته وما من اسمٍ لله جل وعلا وصفة إلا وله عبودية هي من مقتضيات الإيمان بالإسم وموجبات الإيمان به ، كل اسم من أسماء الله ، ولنضرب مثلاً يتضح به هذا الأمر ، يحفظ العبد أن من أسماء الله تبارك وتعالىٰ السميع ، ويفهم ما دل عليه هذا الإسم من معنىٰ ، وهو ثبوت السمع صفة لله جل وعلا تليق بجلاله وكماله وعظمته ، قال الله تعالىٰ : ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ فيؤمن بثبوت السمع صفةً لله جل وعلا علىٰ الوجه اللائق بجلاله وكماله وأن لله سمعـًا وسمع الأصوات كلها جل في علاه ، ولو أن الخلق من الجن والإنس الأولين والآخرين قاموا أجمعين في صعيدٍ واحد وسألوا الله في لحظة واحدة وكلٌ تكلم بمسألة وحاجة ، وكلٌ تكلم بلهجته لسمعهم جل وعلا أجمعين دون أن يختلط عليه صوتٌ بصوت ، ولا لغة بلغة ولا حاجةٍ بحاجة ، ولما نزلت الآية الكريمة ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : سبحان الذي وسع سمعه الأصوات .

فيؤمن العبد بذلك ، ثم يحقق العبودية التي يقتضيها هذا الاسم وهي أمور كثيرة ، من أعظمها صيانة العبد للسانه من أن يتكلم بكلامٍ حرّمه الله عليه ونهاه عنه لأن كل كلام يتكلم به العبد رب العالمين الخالق لهذا الكون يسمعه جل وعلا ، وإذا كان المرء في بعض المجالس أو الأمكنة التي فيها أشخاصٌ لهم مكانة عنده يهذّب ألفاظه ويعتني بالكلام الحسن الجميل ، فالواجب عليه أدبـًا مع الله سبحانه وتعالىٰ خالقه أن يبتعد عن الفحش والبذاء وكل كلامٍ سيء لا يليق مستشعراً أن الله سبحانه يسمع كلامه ، كذلك من العبودية أن يكثر من ذكر الله جل وعلا وتلاوة كلامه جل وعلا ، يكثر من التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير في الحديث [أحب الكلام إلىٰ الله سبحان الله و الحمدلله ولا إله إلا الله والله أكبر] يكثر من قراءة القرآن ، يحقق هذه العبوديات التي تتعلق باللسان وهكذا الشأن في جميع الأسماء والصفات يحفظ الإسم ويؤمن بما دل عليه من معنىٰ وصفة ثابتة لله جل وعلا ، والأمر الثالث أن يحقق العبودية التي يقتضيها إيمان العبد بالإسم من أسماء الله جل

وعلا ، أما أن يكون معه ورقة بها تسعة وتسعين إسمـًا من أسماء الله ويقرؤها قراءة مجردة دون فهم للمعاني ودون تحقيقٍ للعبودية التي يقتضيها ذلك الإسم لا يكون بذلك محققـًا قول النبي صلىٰ الله عليه وسلم [من أحصاها دخل الجنة] فإحصاؤها بحفظها وفهم معانيها والعمل بما تقتضيه من عبودية لله جل وعلا .

وهذه المعرفة علىٰ هذه الصفة كلما ازداد نصيب العبد منها زاد إيمانه وقد قيل قديمـًا من كان بالله أعرف كان منه أخوف ولعبادته أطلب ، وعن معصيته أبعد ، قد قال الله جل وعلا : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾

قال رحمه الله تعالىٰ :

وَمِنْهَا: تَدَبُّرُ الْقُرْآنِ عَلَىٰ وَجْهِ الْعُمُومِ، فَإِنَّ الْمُتَدَبِّرَ لَا يَزَالُ يَسْتَفِيدُ مِنْ عُلُومِ الْقُرْآنِ وَمَعَارِفِهِ، مَا يَزْدَادُ بِهِ إِيمَانًا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾[سُورَةُ الأنفَال].

وَكَذَلِكَ إِذَا نَظَرَ إِلَىٰ انْتِظَامِهِ وَإِحْكَامِهِ، وَأَنَّهُ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَيُوَافِقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، لَيْسَ فِيهِ تَنَاقُضٌ وَلَا اخْتِلَافٌ؛ تَيَقَّنَ أَنَّهُ ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [سُورَةُ فُصِّلَتْ]،

وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوُجِدَ فِيهِ -مِنَ التَّنَاقُضِ وَالِاخْتِلَافِ- أُمُورٌ كَثِيرَةٌ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [سُورَةُ النِّسَاء]، **وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ مُقَوِّيَاتِ الْإِيمَانِ، وَيُقَوِّيهِ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ، فَالْمُؤْمِنُ بِمُجَرَّدِ مَا يَتْلُو آيَاتِ اللهِ، وَيَعْرِفُ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَخْبَارِ الصَّادِقَةِ، وَالْأَحْكَامِ الْحَسَنَةِ؛ يَحْصُلُ لَهُ مِنْ أُمُورِ الْإِيمَانِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، فَكَيْفَ إِذَا أَحْسَنَ تَأَمُّلَهُ، وَفَهِمَ مَقَاصِدَهُ وَأَسْرَارَهُ؟!**

وَلِهَذَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ الْكُمَّلُ يَقُولُونَ: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ الْآيَةَ [آل عِمْرَان : ١٩٣].

الشرح :

هذا السبب الثاني من أسباب زيادة الإيمان وتقويته ؛ تدبر القرآن الكريم ، وقد قال الله سبحانه وتعالىٰ :﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾ وقال جل وعلا : ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ وقال جل وعلا : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ وقال جل وعلا : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾ وتدبر القرآن من أعظم الأمور التي يزيد بها الإيمان ، قال الله تعالىٰ : ﴿إِنَّمَا

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ وقال جل وعلا : ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝١٢٥﴾

وتدبر القرآن يكون بحسن تلاوته وحسن التأمل لمعانيه وفهم هداياته ودلالاته وإرشاداته ، كما قال الله سبحانه وتعالىٰ : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ وجعله الله سبحانه وتعالىٰ شفاءً لما في الصدور ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ﴾ فجعل الله جل وعلا هذا الكتاب العظيم شفاءً للصدور ومزيلاً لأسقامها وأمراضها من نفاقٍ أو فسوقٍ أو آثام ، أو غير ذلك ، فكلما اعتنىٰ العبد بهذا القرآن قراءة وتدبراً أزال الله سبحانه وتعالىٰ به ما في صدره من سقم ، وما فيه من مرض ، وتقوىٰ إيمانه وتقوت صلته بالله سبحانه وتعالىٰ .

ثم نبه رحمه الله تعالىٰ إلىٰ جانبٍ آخر يزيد في إيمان المؤمن إذا تأمل في إحكام هذا القرآن وانتظامه **(وَأَنَّهُ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا،)** ، كما قال الله عز وجل : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ ﴿مُّتَشَٰبِهَا﴾ أي يؤيد بعضه بعضاً ، ويصدق بعضه بعضاً ولا يعارض بعضه بعضا ،(**لَيْسَ فِيهِ تَنَاقُضٌ وَلَا اخْتِلَافٌ؛ تَيَقَّنَ**)بهذا التأمل والنظر لهذا الإحكام والإتقان لهذا الكتاب العظيم ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾

وأنه لو كان من عند غير الله لوجد فيه من التناقض أمورٌ كبيرة ، كما قال الله عز وجل : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ فهذا الإحكام ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أي أتقنت ، وهذا الإحكام العام الذي هو وصفٌ للقرآن كله ، وهو بمعنىٰ الإتقان ، والتمام والكمال والسلامة من التناقض والاضطراب ، فهذا كله مما يقوي الإيمان ، ثم نبه رحمه الله أن العناية بالقرآن تقوي الإيمان من وجوه منها : كثرة القراءة للقرآن ، ومنها أن يعرف ما رتب عليه من الأخبار الصادقة والأحكام الحسنة ، وكذلك ما يترتب علىٰ التدبر للقرآن والعمل به ، والقرآن أنزل ليعمل به كما قال الحسن البصري رحمه الله قال : أنزل القرآن ليعمل به ، فاتخذ الناس قراءته عملا .

فإذا أخذ العبد نفسه بالعزم والحزم قراءةً للقرآن وتدبراً لمعانيه ، وعملاً بهداياته وتوجيهاته عظم حظه من الإيمان وزاد نصيبه منه .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك .
اللهم صلي وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم .